إسعاف الراغب الشّائق بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق

للشيخ العلامة السيد
محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه

عَطر اللّهم مجَالسَنا بِأعْطَر صَلاةٍ وَأطيب تَسْلِيم عَلَى
أكْمَل مَوْلود وَأجَل مَوْدُودٍ وَأفْضَلِ كَلِيم اللّهُمَّ صَلِّ
وَسَلِّم وَبَارِك عَلَيْهِ وعلَى آلِه واجْعَلْنَا يَا مَوْلاَنَا مِن
أعْظَمِ المخْصُوصِين لَدَيْهِ وَالمُتَعَلِّقِينَ بِأذْيَالِهِ

نحمدك اللّهُمَّ يَا مَنْ افْتَتَحَ بالنُّورِ البَاهِرِ الأَحْمَدِي والجنَابِ العَاطِرِ المحمَّدِي كُلَّ مخلوق وَمَوْجُودٍ وجَعَلَهُ بَدْرَةَ الأَكْوَانِ وَدُرَّةَ الأَعْيَانِ، وَأبْرزه طَالَعَةَ الوُجُودِ فَكَانَ الوَالِدَ للأرْوَاحِ، وَالْبَادِىءَ بِالأَفْرَاحِ، وَالسَّابِقَ لِكُلِّ كَرَمٍ وَجُودٍ، وَالْفَاتِحَ لِمَا أُغْلِقَ مِنَ الأَنْوَارِ وَسَائِرِ المَعَارِفِ وَالأَسْرَار وَجَمِيعِ الْخَيراتِ الَّتِي لم تُفْتَح قَطُّ لمَوْلُود، ونَشْكُرُ جَنَابَكَ الْعَظِيم عَلَى أن أصْعَدتَ عَلَى مِنصَّةِ الإِجْلاَلِ والتشريف عَروسَ جمالِهِ الكَرِيم، وَخَتَمتَ بِهِ طَوَالِعَ السُّعُودِ. ونَشْهَد أنَّكَ الله الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أنْتَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، فَضلتَهُ عَلَى جَمِيع الخَلاَئِقِ، وَأسْعَدْتَ بِهِ كُلَّ صَامِتٍ وَنَاطِق، وَجَعَلته كَرِيماً مِنْ أكْرَم آبَاءٍ وَأشْرَف جدود، ونَشْهَدُ أنَّ سَيِّدنَا ومولانا ونبيِّنَا مُحَمَّداً عَبْدُك وَرَسُولكَ ومُصْطفاكَ مِنْ خَلْقِكَ وخَلِيلُكَ أعْظمُ محبُوب وَأكْمَلُ مَوْدُود، مَنِ انتقَلَ فِي الغُرَرِ الكَرِيمةِ نُورُه وَأضَاءَتْ لِمِيلاَدِهِ مَصَانِعُ الشَّامِ وَقُصُوره، وَأشْرقَتْ مِنْهُ الأغوَارُ وَالنُّجُود، فَصَل اللّهُمَّ وَسَلِّم عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ أذْهَبتَ عنهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرْتَهُم تَطْهِيراً، وَمَنَحْتَهُم إِجْلاَلاً كَامِلاً وتَوْقِيراً، وَتَمَامَ عِزِّ وَسَعْدٍ مَمْدُود، وَصَحَابتِه الَّذِينَ نَصَرُوا دِينَهُ وَشَرِيعَتَهُ وَتَبِعُوا طَرِيقَهُ وسُنَّتَهُ وَوَقَفُوا فِي ذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ حَدٍّ مَحْدُود، صَلاَةً وسَلاَماً يَدُومَانِ وَلاَ يَنْتَهِيَانِ بغايَةٍ وَلاَ بِأجَلٍ مَعْدُود.

* * *

عَطر اللّهُمَّ مجَالِسَنَا بِأعْطَرِ صَلاةٍ وَأطْيَبِ تَسْلِيم عَلَى
أكْمَل مَوْلُود وأجَل مَوْدُودٍ وَأفْضَلِ كَلِيم اللّهُمَّ صَلِّ
وسَلِّمْ وَبَارِك عَلَيْهِ وعَلَى آلِه واجْعَلْنَا يَا مَوْلاَنَا من

أَعْظَمِ المخْصُوصِينَ لَدَيْهِ وَالمُتَعَلِّقِينَ بِأَذْيَالِهِ

* * *

هَذَا وَإن الله تَعَالَى الَّذِي دَبَّر وحَكَمَ وَقَضَى عَلَى خَلْقِهِ بالوُجُودِ بَعد العَدَم، لَمَّا أَرَادَ أن يخلُقَ الأَكْوَان وَأن يُوجِدَ منهَا ما يَكونُ أَوْ كَانَ عَلَى صورة حكمتِه كَمَا سبَق فِي سَابِقِ أزليتِه، ابتَدَأَ مِنْهَا بِخَلْقِ الحقيقَةِ الأَحْمَدية مَنَ الأَنْوَارِ الأَحَدِيةِ الصمديةِ فَقبضَ قَبْضَةً مِنْ نُورِهِ وَقَالَ لَهَا: كُونِي محمَّداً نَبِيّاً رَؤُوفاً عَطوفاً ممجَّداً، فَصَارَتْ عَمُوداً من نُور يُسَبِّحُ الله تَعَالَى وَيمجّده قَبل ظُهُورِ الظُّهورِ، ثُمَّ إنَّهُ سُبْحَانَهُ أَفَاضَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي سِرِّ الغَيْبِ سِجَالَ العَطَايَا وَمَنَحَهُ مَا لاَ يُعَدُّ وَلاَ يُحْصَى مِنَ المَآثِر وَالْخَصَائِصِ وَالْمَزَايَا، ثُمَّ سَلَخَ مِنْهُ الْعَوَالِمَ وَأَمَدَّ مِنْهُ المُكَوَّنَاتِ وَسَائِرَ الْمَعَالِم، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك أَصْلَ المَوْجُودَاتِ وَعُنْصُرَ جَمِيعِ المَخلُوقَات وَأَسَاساً اسْتَنَدَ إِلَيْهِ كُلُّ حَي ونوراً خُلِقَ من نوره كُلُّ شَيْء.

وَقَدْ رَوَى عَبْد الرزاق في مُصَنَّفِهِ والبَيْهَقي، ولكِن ببعضِ مخالفة عَن جَابر بن عَبْدِ اللَّهِ عَنْهُمَا، قَالَ: قلتُ: يَا رَسُولَ الله بِأَبِي انْتَ وأُمِّي أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّل شيءٍ خلقه اللَّهُ تَعالى قَبلِ الأَشْيَاءِ، قَالَ: «يَا جابر إن الله عَزَّ وَجَلَّ خلقَ قَبلَ الأَشْيَاء نُورَ نَبيِّكَ من نوره، أي مِن نُور خَلَقَهُ وأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفاً لَهُ فجعَل ذَلِكَ النُّورَ يدور - أي يتردد - وينتقِل فِي عَالَمِ المَلَكُوتِ بالقدرة حَيْثُ شَاءَ الله وَلَمْ يَكُنْ في ذَلِكَ الوقْتِ لَوْحٌ وَلاَ قَلَمٌ وَلاَ جَنَّةٌ وَلاَ نَارٌ وَلاَ مَلَكٌ وَلاَ سَمَاءٌ وَلاَ أَرضٌ وَلاَ شَمْسٌ وَلاَ قَمَرٌ وَلاَ جِنِّي وَلاَ إِنْسِي، فَلَمَّا أَرَادَ الله تَعَالَى أَنْ يَخْلُق الخَلْقَ قسَمَ ذَلِكَ النُّور - أَيْ اقْتَبَسَ مِنْهُ - أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ، فَخَلَقَ مِنَ الجزء الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسَّم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من ٱلأَوَّلِ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، وَمِنَ ٱلثَّانِي الكرسِيَ، وَمِنَ الثَّالِثِ بَاقِي المَلاَئِكَةِ. ثُمَّ قَسّم الرَّابعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءِ فَخَلَقَ مِنَ ٱلأَوَّلِ السَّمَاوَاتِ، وَمِنَ الثَّانِي الأَرْضِين، وَمِنَ الثَّالِثِ الجنَّةَ وَالنَّارَ، ثُمَّ قسَمَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مَنَ الأَوَّل نورَ أَبْصَارِ المؤمنِينَ، وَمِنَ الثَّانِي نورَ قلوبهم وَهُوَ المعرفة بالله، وَمَنَ الثَّالِثِ نورَ أنفسِهِم وَهُوَ التوحيدُ لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله» الحديث.

وَفِي حَدِيثِ سَيدِنَا عمرَ بن الخَطَّاب رَضيَ اللَّهُ عنه: «يا عُمرُ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا؟! أَنَا الذي خَلَقَ الله عَزَّ وجل قَبْلَ كُلِّ شيءٍ نُوري فَسَجَدَ لله فَبقِي في سُجُودِهِ سَبْعَمائةِ عَام، فَأَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ سجَدَ لِلَّهِ نوري وَلاَ فَخر، يا عُمرُ أتدري مَنْ أَنَا؟! أَنَا الَّذِي خَلَقَ الله العرشَ مِنْ نُورِي، وَالكُرْسِي من نُوري، واللَّوْحَ مِنْ نُورِي، وَالقَلَمَ مِنْ نُورِي، وَنُورَ الأَبصَارِ مِنْ نُورِي، وَالعَقْلَ الذي فِي رُؤُوسِ الخَلْقِ مِنْ نُورِي، وَنُورَ المَعْرِفَةِ فِي قُلُوبِ المؤْمِنِينَ مِنْ نُورِي وَلاَ فَخْر».

وَفِي سيرَة الحَلَبِي نقلاً عن كِتابِ «التشريفاتِ في المَنَاقِبِ والمعجزاتِ» عَنْ أَبِي

هُريرةَ رضيَ الله عنه قال: سألَ النبيُّ ﷺ جبريلَ عليه السَّلامُ فقال: «يا جبريل، كم عُمرتَ من السِّنينَ؟ فقال: يا رسول الله لستُ أعْلمُ غير أن في الحجابِ الرابع نجماً يطلعُ في كلِّ سبعين ألف سنة مرة رأيتُهُ اثنين وسبعين ألف مرة. فقال عليه الصلاة والسلام: وعزَّة ربِّي أنا ذلك الكوكب».

* * *

عَطر اللَّهم مجَالسَنا بِأعْطَر صَلاةٍ وَأَطيب تَسْلِيم عَلَى
أكْمَل مَوْلود وَأجَل مَوْدُودٍ وَأفْضَلِ كَلِيم اللَّهُمَّ صَلِّ
وَسَلِّم وَبَارِك عَليْهِ وعلَى آلِه واجْعَلْنَا يَا مَوْلاَنَا مِن
أعْظَمِ المخْصُوصِين لَدَيْهِ وَالمُتَعَلِّقِينَ بِأذْيَالِهِ

* * *

ثم إن الله تعالى خلق طينة جسده الشريف وجسمه الطاهر المنِيف وكوَّن منها أجساد الملائكة والأنبياء وغيرهم من الآلِ والأقطاب والأفراد والأصفياء، حسبما نبَّه على ذلك بعض الأكابر ممن له يدٌ كبرى في الباطِنِ والظاهر، فكان ﷺ لذلك جنْساً عالياً على جميع الأجناس، وأباً أكبر لجميع الموجوداتِ والناس، فسُمِّي بنُور النُّور وأبي الأرواح، وبفواتِح النور وبالفاتِح والفتَّاح لفتْحِهِ أبواب الوجود وحصول مددِهِ لكلِّ موجود، ﷺ وشرَّف ومجَّد وعظَّم.

وفي «شَرح البردة» للعلاَّمة ابن مرزوق نقلاً عن أبي العباس العزَفِي في كتاب «الدرُّ المنظم» عن علي رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله مِمَّ خُلِقتَ؟ فأطرق وعليه عَرق كالجُمان، ثم قال: «يا علي لمَّا عُرِجَ بي إلى السماء وكنت من ربِّي كقابِ قوسين أو أدنى، وأوحى إليّ ربِّي ما أوحى، قلت: يا ربِّ مِمَّ خَلَقتَنِي؟ فقال: يا محمد وعِزَّتي وجلالي لولاك ما خلقتُ جنَّتي ولا ناري. فقلت: يا ربِّ مِمَّ خلقتني؟ فقال: يا محمد، لما نظرتُ إلى صفاءِ بياض نورٍ خلقتُه بقُدْرتي وأبدعْتُه بحكمتي وأضفتُهُ تشريفاً له إلى عَظَمتِي اسْتَخْرجتُ منه جزءاً فقسمته ثلاثة أقسام، فخلقتك أنت وأهل بيتِك من القسم الأول، وخلقتُ أزواجكَ وأصحابك من القسم الثاني، وخلقتُ من أحبّكم من القسم الثالث، فإذا كان يوم القيامة عاد كلُّ حسبٍ ونسبٍ إلى حسَبِهِ ونسبِهِ ورددت ذلك النور إلى نُورِي فأدخلتك أنت وأهل بيتك وأزواجك وأصحابك ومن أحبَّكم جنتي برحمتي، فأخبرهم بذلك يا محمد عنِّي».

وأخرج ابن سعد في «شرَفِ المصطفى» وابن الجوزي في «الوفاء» عن كعب الأحبار قال: لما أراد الله عزَّ وجل أن يخلُقَ سيدنا محمداً ﷺ ـ أي أن يجعل نوره الشريف صورة روحانية مماثلة لصورته التي سيُوجد عليها في الدنيا ـ أمر جبريل عليه

السلام أن يأتيهِ بالطينَةِ التي هي قلبُ الأرض وبهاؤها ونُورُها، فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرَّفيعِ الأعلى ـ أي السماءِ السابعة ـ فقبض قبضة رسول الله ﷺ وهي بيضاءُ منيرةٌ فعُجِنت بماء التَّسْنيم ـ أي الذي هو أرفَعُ شراب الجنَّة ـ في معين أنهارِ الجنة حتى صارت كالدُّرة البيضاء لها شعاع عظيم، ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكُرسي وفي السماوات والأرض والجبال والبحار، فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمداً ﷺ ـ أي عرفت روحَه وعُنصُرَهُ وفضله ـ قبل أن تعرف آدم عليه الصلاة والسلام.

قال بعض العلماء: وهذا لا يقال من قِبَل الرأي، فهو إما عن الكُتُب القديمة، لأن كعباً حبْرُها، وإما عن المصطفى بواسطةٍ، فهو مُرسَل.

وفي «أحكام» الحافظ أبي الحسن بن القطّان فيما ذكره ابن مرزوق في «شرح البُردة» عن علي بن الحسين عن أبيه عن جدِّه سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرَّم وجهه: أن النبي ﷺ قال: «كنت نوراً ـ أي مُصَوَّراً على شكلٍ خاصٍ ـ من نور بين يدي ربِّي ـ أي في غاية القُرب المعنوي منه ـ قبل خَلْقِ آدم بأربعة عشر ألف عام».

وأخرج ابن سعد عن قتادة مُرسلاً، وابن أبي حاتم وغيره عن أبي هريرة مرفوعاً: «كنت أول النَّبيئين في الخَلقِ وآخرهم في البعثِ».

وأخرج أحمد والبيهقي والحاكم وصححه، وابن حبَّان عن العرباضِ بن سارية مرفوعاً: «إني عند الله لخاتِمُ النبيئين، وإنَّ آدم لمُنجَدِلٌ في طينتِهِ ـ أي لطريحٌ مُلْقىً على الأرْضِ ـ قبل نَفْخِ الرُّوح فيه».

وأخرج أحمد أيضاً والبخاري في «تاريخه» والبغوي وغيرهم، وصححه الحاكم عن مَيْسَرة الفجر، قال: قلت: يا رسول الله متى كنت ـ وفي رواية: كنت نبيّاً ـ؟ فقال: «وآدم بين الروح والجسد» ـ بمعنى أن الله تعالى خلق حقيقته التي هي أصل الحقائق قبل تكوين شيء من الخلائق ثم صوَّرها على شكلٍ خاص من نور وخلع عليها خِلَعَ الكمال والفتُوة والنُّبوءَة والظهور، فكان ﷺ نبيّاً أميناً وآدم عليه السلام لم يزل طِيناً، بل لم تُكوّن طينته ولم تُخرج للوجود ماهيته ولا حقيقته، ولذا كان عليه الصلاة والسلام سيِّد الأكوان، ودُرة صدفةِ الوجود، ونُخبة الأعيان.

مُحمَّدٌ أشرفُ الأعْرابِ والعَجَم ... مُحمَّدٌ خَيرُ مَنْ يَمْشي على قَدَمِ
مُحمَّدٌ تاجُ رسْلِ اللَّه قاطِبَةً ... مُحمَّدٌ صادِقُ الأفعالِ والكَلِمِ
مُحمَّدٌ باسِطُ المعروفِ جامِعُه ... مُحمَّدٌ صاحِبُ الإحسانِ والكَرَمِ
مُحمَّدٌ ثابِتُ المِيثاقِ حافِظُهُ ... مُحمَّدٌ طيِّب الأخلاقِ والشِّيَمِ

مُحَمَّدٌ جُلِيت بالنُّور طِينتُهُ مُحَمَّدٌ لم يَزَل نُوراً مِنَ القِدَمِ
مُحمَّدٌ خَير خَلْقِ اللَّهِ من مُضرِ مُحمَّدٌ خَيرُ رسْلِ اللَّهِ كُلِّهِم
مُحمَّدٌ ذكرُهُ رُوحٌ لأنْفُسِنا مُحمَّدٌ شكرُهُ فَرْضٌ على الأُمَمِ
مُحمَّدٌ زينَةُ الدُّنيا وبهجتُها مُحمَّدٌ كاشِفُ الغمَّاتِ والظُّلمِ
مُحمَّدٌ سيِّد طابَتْ مناقِبُهُ مُحمَّدٌ صاغَهُ الرَّحْمٰنُ من كَرَمِ
مُحمَّدٌ شرَّف الباري مراتِبهُ مُحمَّدٌ خصَّهُ الرحمٰنُ بالنِّعَمِ
مُحمَّدٌ صفوةُ البارِي وخِيرَتُهُ مُحمَّدٌ طاهِرٌ مِنْ سائِرِ التُّهَمِ
مُحمَّدٌ طابَتِ الدُّنيا بمبْعَثِهِ مُحمَّدٌ جاءَ بالآياتِ والحِكَمِ
مُحمَّدٌ يومَ بَعْثِ النَّاسِ شافِعُنا مُحمَّدٌ نورُه الهادِي مِنَ الظُّلَمِ
مُحمَّدٌ قائِمٌ لِلَّهِ ذُو هِمَمِ مُحمَّدٌ خاتِمٌ للرُّسْلِ كُلِّهِمِ

* * *

عَطر اللَّهم مجَالسَنا بِأَعْطَر صَلاةٍ وَأَطيب تَسْلِيم عَلَى أَكْمَل مَوْلود وَأَجَل مَوْدُودٍ وَأَفْضَلِ كَلِيم اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم وَبَارِك عَلَيْهِ وعلَى آلِه واجْعَلْنَا يَا مَوْلاَنَا مِن أَعْظَمِ المخْصُوصِين لَدَيْهِ وَالمُتَعَلِّقِينَ بِأَذْيَالِه

* * *

فبُشرى لنا ثم بُشرى، معاشِر الإسلام وأمَّة خاتمة الأنبياء والرُّسل الكِرام، بظهور طَلعة هذا النبي الكريم والرسول المبجَّل الفَخيم، المخصوص بالآيات البيِّنات والخُلُق العظيم، الموصوف بالكمالات الباهرات والفضل العميم، المنزلِ عليه في الكتاب والذِّكْرِ الحكيم ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبَة: الآية ١٢٨] شرَّفه الله على جميع المخلوقين، ونبَّأهُ وآدم بين الماءِ والطين، وجعل مقامه رفيعاً، وحرزَهُ منيعاً، وحُسنه بديعاً، ومَوْلدَه للمؤمنين ربيعاً، وتوَّجَه بتاج الفَخار، ونوَّرَ به جميع الأقطار، وصفَّاهُ من سائر الأكدار، وخلع عليه خِلَعَ المهابَةِ والوَقار، وختم به النبيئين وتمَّم به المُرسلين، وبوَّأهُ مقاماً جليلاً، وأعطاه عطاء جزيلاً، وافتتح به الأكوان وجعله سبباً لوجود ما يكون منها أو كان، ولولاه ﷺ ما كان موجودٌ ولا خُلِقَ بشر ولا مولود، كما أفصحت بذلك الأحاديث والأخبار واشتهر على ألسِنَةِ المادحين أيّ اشتِهار.

* * *

عَطر اللَّهم مجَالسَنا بِأَعْطَر صَلاةٍ وَأَطيب تَسْلِيم عَلَى

أَكْمَل مَوْلود وَأَجَل مَوْدُودٍ وَأَفْضَلِ كَلِيم اللَّهُمَّ صَلِّ
وَسَلِّم وَبَارِك عَلَيْهِ وعلَى آلِه واجْعَلْنَا يَا مَوْلاَنَا مِن
أَعْظَمِ المخْصُوصِين لَدَيْهِ وَالمُتَعَلِّقِينَ بِأَذْيَالِهِ

* * *

وقد أخرج الحاكم والبيهقي وأبو الشيخ في «طبقات الأصبهانيين» عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى عيسى: آمِن بمحمد وأمُر أمَّتك أن يُؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنَّة ولا النار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكَتَبت عليه: لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله، فسكن.

وأخرج الديلمي عن ابن عباس أيضاً مرفوعاً: «أتاني جبريل فقال: إن الله يقول: لولاك ما خلقتُ الجنَّة ولولاك ما خَلَقتُ النار».

وأخرج ابن عساكر في «تاريخه» عن سلمان قال: «هبط جبريل على النبي ﷺ فقال: إن ربَّك يقول: إن كنت اتخذتُ إبراهيم خليلاً فقد اتخذتُكَ حبيباً، وما خلقتُ خلقاً أكرم عليَّ منك، ولقد خَلَقْتُ الدنيا وأهلها لأعرِّفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقتُ الدنيا».

وذكر ابن سبُع والعَزفي عن علي رضي الله عنه أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: «مِن أجلِكَ أسطِحُ البطحاء ـ أي أمُدُّ الأرض وأبسُطُها ـ وأموج الموجَ ـ أي أُقلِّب بعضه في بعضٍ ـ وأرفعُ السماء وأجعل الثواب والعقاب».

ونقل ابن مرزوق في «شرح البردَةِ» عن العزفي أيضاً في كتابه «الدُّر المنظم» عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح نظر إلى ساق العرش فرأى فيه مكتوباً: لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله، فقال: أي رب من صاحب هذا الاسم؟ فقال: نبيٌّ من ذرِّيتك آخر الأنبياء وأول الأنبياء. فقال: أي ربِّ كيف يكون أولهم وآخرهم؟ فقال: أوَّلهم دخولاً الجنة وآخرهم بعثاً. فقال: يا رب ويدخل الجنة قبلي؟ قال: نعم، قال آدم: الحمد لله الذي جعل من ذرِّيتي من يدخل الجنة قبلي. فقال: يا آدم هذا ولدُكَ محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت جنة ولا ناراً ولا شمساً ولا قمراً هذا محمد الذي يدخُل الجنة الخلائِقُ بشفاعته يوم القيامة».

ومن قصيدة دالية للعارف بالله سيدي علي بن وفا رضي الله عنه في مدحِهِ ﷺ:

رُوحُ الوجودِ حياة مَن هو واجِد ... لولاه ما تَمَّ الوجودُ لِمَن وُجِدْ
عيسى وآدمُ والصُّدُور جميعُهم ... هم أعيُنٌ هو نُورُها لمَّا وَرَدْ
لو أبْصرَ الشَّيطانُ طَلعَة نُورِهِ ... في وجه آدمَ كان أوَّل مَنْ سَجَدْ

أو لـو رأى الـنُّـمْـرُوذُ نُـورَ جـمـالِـهِ عَبَدَ الجليلَ مع الخَلِيلِ وما عَنَد
لـكـن جـمـالُ الـحَـي جَـل فـلا يُـرَى إلا بـتـخـصـيـصٍ مـن الـلَّـهِ الـصَّـمَـدْ

* * *

عَطر اللَّهم مجَالسَنا بِأَعْطَر صَلاةٍ وَأَطيب تَسْلِيم عَلَى أَكْمَل مَوْلود وَأَجَل مَوْدُودٍ وَأَفْضَلِ كَلِيم اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم وَبَارِك عَلَيْهِ وعلَى آلِه واجْعَلْنَا يَا مَوْلاَنَا مِن أَعْظَمِ الـمخْصُوصِين لَدَيْهِ وَالـمُتَعَلِّقِينَ بِأَذْيَالِهِ

* * *

ثم إنَّ الله تبارك وتعالى لما خلق سيدنا آدم عليه السلام من طين ونَفخ فيه الرُّوح جعل نور سيدنا محمد ﷺ في ظَهْره فكان لشدتِه يُضِيءُ من جبينِهِ كالشمس ويَلوح، وكان يسمع من أسارير جبهته نشِيشاً كنَشِيش الطَّير إذا سَجَعَ فيقول: سبحانك يا رب ما هذا الصوت الذي أسمع؟ فيقول الله عزَّ وجلَّ: هذا تسبيحُ خاتِم النَّبيين وسيد أولادِكَ المُرْسلين. ولما حضرته الوفاة أوصى أكبر أولاده سيدنا شِيتاً عظيم الهُداة أن لا يضع هذا النور والسرِّ الباهي المنشور إلاَّ في المطهَّراتِ الطاهِرات من النساء الباهرات. ولم تزل هذه الوصية جارية معمولاً بها في القرون الآتية والماضية إلى أن أدى الله النور إلى عبد المطلب وولده سيِّدنا عبد الله الذي أكرمه الله بكل فضلٍ وحبَاهُ. وللحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقي:

تـنـقَّـل أحـمـدُ نـوراً عَـظِـيـمـاً تـلألأ فـي جِـبَـاهِ الـسَّـاجـديـنـا
تـنـقَّـلَ فـيـهـم قـرنـاً فَـقَـرْنـاً إلـى أنْ جـاءَ خَـيْـرَ الـمُـرْسَـلِـيـنـا

وطهَّر الله عزَّ وجلَّ نسَبَه الشريف وحسَبَه الطاهر المنِيف من سِفاح الجاهلية وزِناهم، وكل ما يؤدي إلى نقصٍ في منصِبِ آبائِهِ الكِرام وعُلاهُم. قال عليه الصلاة والسلام: «ما وَلَدَنِي من سفَاح أهل الجاهلية شيء، ما ولَدني إلاَّ نكاح كنكاحِ الإسلام» أخرجه البيهقي في «السُّنن» وغيره من حديث ابن عباسٍ.

وقال عليه الصلاة والسلام: «ليس في آبائِي من لدن آدمَ سِفاحٌ كلُّنا نِكاح» رواه ابن مردُوية عن أنس.

وقال عليه الصلاة والسلام: «خرجت من نكاح ولم أُخرَجْ من سِفاحٍ من لدُن آدمَ إلى أن ولَدَنِي أبي وأُمِّي ولم يُصبني من نكاحِ الجاهلية شيء». أخرجه أحمد والطبراني في «معجمه» وغيرهما عن عائشة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لم يلتق أبَوايَ قطُّ على سِفاح ولم يزل الله ينقلنِي من

الأصْلاب الطيبَة إلى الأرحام الطاهرة مُصفى مهذباً لا تتشعب شُعبتانِ إلاَّ كنت في خَيْرِهما» أخرجه أبو نعيم عن ابن عباس. ولبعضهم:

حَفِظ الإلٰهُ كرامَةً لمحمَّد آباءَهُ الأمجادَ صوناً لاسْمِهِ
تركُوا السِّفاحَ فَلَمْ يصبهُم عارُه مِن آدَمَ وإلى أبيهِ وأُمِّهِ

* * *

عَطر اللَّهم مجَالسَنا بِأَعْطَر صَلاةٍ وَأَطيب تَسْلِيم عَلَى أَكْمَل مَوْلود وَأَجَل مَوْدُودٍ وَأَفْضَلِ كَلِيم اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم وَبَارِك عَلَيْهِ وعلَى آلِه واجْعَلْنَا يَا مَوْلاَنَا مِن أَعْظَمِ المخْصُوصِين لَدَيْهِ وَالمُتَعَلِّقِينَ بِأَذْيَالِهِ

* * *

وقد ذكروا أنه يتعيَّن على كل مسلم معرفة نسبه ﷺ، أماً وأباً، ليكون عارِفاً بجَناب هذا النبي الكريم المجتبى.

فأما نَسَبُهُ مِنْ قِبَل أُمِّه آمنةَ المصُونة والدُّرة العفيفة المكنونة فهو: سيدُنا محمد بن سيِّدتنا آمنة بنت وهب بن عبد منافٍ بن زُهرة بن كلاب الذي هو أحد أجدادِهِ عليه السلام من قبل والدِهِ الرَّفِيع المقام فهو منتهى نسبه من أمه مع نسبه من أبيه الذي من ظفر به فقد ظفر بكنز يُغنيه.

وأما نسَبه من قبل الأب الطاهِر الجامع لأنواع الكمال وأشتاتِ الجمال الباهر فهو: سيدنا محمد بن سيدِنا عبد الله بن سيدنا عبد المطلب بن سيدنا هاشم بن سيدنا عبد مناف بن سيدنا قُصَي بن كِلاب بن سيدنا مرة بن سيِّدنا كعب بن سيِّدنا لُؤَي بن سيدنا غالب بن سيدنا فهر بن سيدنا مالك بن سيدنا النَّضر بن سيدِنا كِنانة بن سيِّدنا خزيمة بن سيدنا مُدركة بن سيدنا إلياس بن سيدنا مُضَر بن سيدِنا نِزَار بن سيدنا مَعد بن سيدنا عدنان.

وهذا هو نسبُه ﷺ المجمع عليه وما بعده مختلف فيه اختلافاً كثيراً فلا يقطع به ولا يستند إليه، ولكن لا خلاف في أن عدنان من ذرية سيدنا إسماعيل النبيل ابن سيدنا إبراهيم الخليل عليهما وعلى نبيِّنا وعلى جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وملائكته أجمعين.

* * *

عَطر اللَّهم مجَالسَنا بِأَعْطَر صَلاةٍ وَأَطيب تَسْلِيم عَلَى أَكْمَل مَوْلود وَأَجَل مَوْدُودٍ وَأَفْضَلِ كَلِيم اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم وَبَارِك عَلَيْهِ وعلَى آلِه واجْعَلْنَا يَا مَوْلاَنَا مِن

أَعْظَمِ الـمَخْصُوصِينَ لَدَيْهِ وَالـمُتَعَلِّقِينَ بِأَذْيَالِهِ

* * *

ومما ينبغي القول به جزماً، بل يتعيَّن على كل مسلم اعتقادُه حتماً، أن الله تعالى طهَّر جميع آبائه ﷺ وأمَّهاتِه إلى آدم وحوَّاء من الشِّرْكِ وسائِرِ العلل الباطنة والأدْواء، فلم يكن فيهم إلاَّ مُؤمن كامل الإيمان لحملِهم لنُوره الذي به يكمُل الإيمان.

له النسَبُ العالِي فليسَ كمِثْلِهِ ... حسِيب نسيب مُنعِمٌ متكرِمُ
أُقدِّمُهُ في كُلِّ مَدْحٍ لأنَّهُ ... إذا كان مدحٌ فالحبيبُ المقَدمُ
خليل بتَاجِ المكرماتِ مخصصٌ ... جميل كريمٌ بالبهاءِ مُعَمَّمُ
فما وُجِد الأكوانُ إلاَّ لأجْلِهِ ... حقيقاً طِرازُ الكُلِّ فهو المكرَّمُ
له الشمسُ تجري والبدور جميعُها ... كذا الضبُّ والثُّعْبانُ جاءَ يُسَلم
ألا قُلْ لقوم نازعُوا إن أردتُم ... نجاةً به صَلُّوا عليه وسَلِّموا

* * *

عَطر اللَّهم مجَالسَنا بِأَعْطَر صَلاةٍ وَأطيب تَسْلِيم عَلَى
أَكْمَل مَوْلود وَأَجَل مَوْدُودٍ وَأَفْضَلِ كَلِيم اللَّهُمَّ صَلِّ
وَسَلِّم وَبَارِك عَلَيْهِ وعلَى آلِه واجْعَلْنَا يَا مَوْلاَنَا مِن
أَعْظَمِ الـمَخْصُوصِينَ لَدَيْهِ وَالـمُتَعَلِّقِينَ بِأَذْيَالِهِ

* * *

وقد ورد في حديث ضعيف، على ما هو الحقُّ فيه عند أهل التعريف، أن الله تعالى أحيا له ﷺ أبوَيْهِ حتى آمَنَا به وركنا إليه خصوصية لهُما وكرامة له عليه السلام ليحوزا بذلك فضيلة الكون من هذه الأمة المحمديَّة الرَّفيعة المقام، وليحصل لهما ما حصل لغيرهما من التخصيص برؤيته والتنعُّم بكريم جماله وطلعته، وهذه منقبة سَنية وفَضيلة عظيمة بَهية، فيعمل فيها بهذا الحديث الذي هو مُنية كل مُحِبٍّ، قديم وحديثٍ، وكيف لا وقد منَّ الله عليهما بمزية خروجِهِ من بينهما رحمةً للعالمين وشفِيعاً في العاصِينَ والمُذْنبين، وأيُّ تخصيص وكمال واتصال يكوِّن هذه الخصلة التي هي أرفعُ الخِصالِ.

وللحافظ شمس الدين بن ناصر الدِّمشقي:

حبَا اللَّهُ النبيَّ مَزِيدَ فَضْلٍ ... عَلى فَضْلٍ وكانَ به رؤُوفا
فأحْيَا أُمَّهُ وكَذَا أباهُ ... لإيمانٍ بهِ فَضلاً مُنِيفا
فسلِّم فالحَكيمُ بذا قَدِيرٌ ... وإنْ كانَ الحدِيثُ به ضعَيفا

وقد سُئِلَ القاضي أبو بكر بن العربي عمن قال: أن أبويهِ ﷺ في النَّار، فأجاب:

بأنه ملعون لأنَّ الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٧]، قال: ولا أذى أعظم من أن يُقال عن أبويه أنَّهما في النَّارِ. اهـ.

نقله السيُّوطي في «الأرج»:

حداةَ العيس رفقاً بالنجائِب ... فقلبي سارَ في إثْر الرَّكائِبْ
وجسمِي ذَابَ من سَقَمٍ وَوَجْدٍ ... ومن شَوْق إلى لقيَا الحبائِبْ
فهل لي من سَبيل للتَّلاقِي ... فدمْعِي قدْ غَدا مثل السَّحائِبْ
لَئِنْ سَمَح الزَّمانُ بطِيب وَصْلٍ ... وبُلِّغْتُ المقاصِدَ والمآرِبْ
لألْثَمَنَّ ذاكَ التُّربَ جَهراً ... وأرويه بأدمُعي السَّواكِبْ
وأحْظَى بالعَقِيق وساكِنِيهِ ... ومن قد حلَّ في تلكَ المَضَارِبْ
قِبابٌ قد حوَتْ بَدْراً مُنِيراً ... إذا ما ماسَ في تِلك الذوَائِبْ
تَخِرُّ له بدورُ الحسْنِ طَوْعاً ... سجُوداً في المشارِقِ والمغارِبْ
فَقل ما شئتَ عمَّن ليسَ يُحْصَى ... فضائِلُهُ بحَصْرٍ أو بِكَاتِبْ
فَمن ذا يستطِيعُ لهُ انحصاراً ... أيُحْصَى القَطْرُ أو رمْلُ الكتائِبْ
عليهِ منَ المُهَيْمنِ كلَّ وقتٍ ... صلاةٌ ما بَدَا نُورُ الكواكِبْ

* * *

عَطر اللَّهم مجَالسَنا بِأَعْطَر صَلاةٍ وَأَطيب تَسْلِيم عَلَى أَكْمَل مَوْلود وَأَجَل مَوْدُودٍ وَأَفْضَلِ كَلِيم اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم وَبَارِك عَليْهِ وعلَى آلِه واجْعَلْنَا يَا مَوْلاَنَا مِن أَعْظَمِ المخْصُوصِين لَدَيْهِ وَالمُتَعَلِّقِينَ بِأَذْيَالِهِ

* * *

ولما أراد الله تعالى إبراز هذا السرِّ المصون الساري في الظُّهور والبُطُون، أَلْهَمَ عبد المطلب فخطب آمنة لولده عبد الله، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش في النَّسَبِ والحُسْنِ والرفعة والجاه، فتزوَّجها وبنَى بها ولم يبْنِ كما ذَكَره غيرُ واحِدٍ من العُلماء قط بغيرها، فحملت به عليه السلام ولم تَحمل بسواهُ من الأنام. وقد رُوي عن العباس رضي الله عنه: أنَّ عبد الله لمَّا بَنَى بآمِنَة العظيمة الجاهِ أحْصَوا مائتي امرأةٍ من بَنِي عبد منافٍ وبني مخزُوم مُتْنَ ولم يتزوَّجْنَ أسفاً على ما فاتَهُنَّ من سرِّه المعلوم الذي هو نور المصطفى الذي كان يُضيءُ في جَبينِهِ ويلمَعُ فيها من غير خَفَا، ولم تَبْقَ امرأةٌ في قُريش إلاَّ مَرِضَت ليلة دخل بآمنة، وكيف لا وقد أضحَت به من كلِّ بلاءٍ آمنة، وكان بناؤه بها

يوم الجمعة أو يوم الاثنين من أول شهر رجب الفرد الحرام في شِعبِ أبي طالب عند الجمْرة الوسطى العَزِيزة المقام.

* * *

عَطر اللَّهم مجَالسَنا بِأعْطَر صَلاةٍ وَأطيب تَسْلِيم عَلَى
أكْمَل مَوْلود وَأجَل مَوْدُودٍ وَأفْضَلِ كَلِيم اللَّهُمَّ صَلِّ
وَسَلِّم وَبَارِك عَليْهِ وعلَى آلِه واجْعَلْنَا يَا مَوْلاَنَا مِن
أعْظَمِ المخْصُوصِين لَدَيْهِ وَالمُتَعَلِّقِينَ بِأذْيَالِهِ

* * *

وظَهَرَت لحَمْلِه ﷺ عجائِب، ولوضعِهِ غرائِب، ونُودِيَ تلك الليلة في السَّماءِ وصِفاحِها والأرض وبِقاعِها: ألا إنَّ النورَ المكْنون قد اسْتَقر الليلة في بطنِ آمِنَةَ المَصون، فيا طُوبَى لها ثم يا طُوبَى لها، وتَبَرْقَعَ عرشُ الرَّحمٰن بالوَقارِ، وتدرَّع كرسِيُّهُ بالفَخَارِ، وابنتَهَجَت سِدْرةُ المنتَهَى، وتَبَلَّجَت أنوارُ المهابَةِ والبَهَا والجِنانُ تزخرفَتْ، والحُورُ مِنَ القصورِ أشرفَتْ، والملائكَةُ تمنْطَقَتْ واصطفَّتْ وبالعرشِ احْتفَّتْ، ونُودِي: يا رِضْوان افْتَحْ أبوابَ الجِنان، ويا مالكُ أغلِقْ أبواب النِيران فإنَّ النورَ المخزونَ والسِّر المَكنون الذي هو في خزائن القُدرة من الأزَل في هذه الليلة إلى بطنِ آمنة قدِ انْتقل، وأصبحَت أصنامُ الدُّنيا منكوسةً وأسِرَّة ملوكِ الأرضِ مقْلوبَةً معكوسةً، ولم تبْق دابَّةٌ لِقُريش إلاَّ نطقَتْ تلك الليلة، وقالت: حُمِلَ بِرَسول الله ﷺ ورَبِّ الكعْبة وهو إمامُ الدنيا - وفي رواية: أمانُ الدُّنيا - وسِراجُ أهلها، وقطبُ دائِرَةِ فَلَكِها ومَجْدِها، ولم تبقَ في تلك الليلة دارٌ بالمدينة إلاَّ أشرقت، ولا ناحية إلاَّ دخلها النور وابتهجت، وفرَّت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبِشارات وكذلك أهل البحار، صار يبشِّر بعضهم بعضاً بظهور خير أهل الأرض والسماوات. وكانت قريش في جذبٍ شديد وضيْقٍ عظيم مَديد، فاخْضَرَّتِ الأرض طُولها والعرض، وحُملتِ الأشجار بسائر أنواع الفواكه والثمار، وأتاهُمُ الخيرُ الكثير وعمَّهم الرِّفْد الغزير، وسُمِّيت تلك السَّنة سنة الفتْحِ والابتهاج لكونه حُمِل فيها بصاحِبِ اللِّواءِ والتاج، وأُتيت آمنة الرفيعة المقام وقيل لها: إنك حَملتِ بخيرِ الأنام، قالت: وما شعرتُ بأنّي حَملت به، ولا وجدت ثِقلاً ولا وَحَماً لحملِهِ إلاَّ أنّي أنكرت رَفعَ حِيضَتِي إذ لم يكن رفعُها من عادتي - وفي رواية أنَّها قالت: أتاني آتٍ وأنا بين النائمة واليقظانة فقال: هل شعرت بأنكِ قد حملتِ بسيِّد الأنام وأفضل خلق الله على التَّمام، ثم أمهلني حتى إذا دنَتْ ولادَتِي أتانِي فقال لي: قُولي: أُعيذه بالواحدِ من شرِّ كُلِّ حاسِد، ثمَّ إذا وضعتيه ممجَّداً فسَمِّيه محمَّداً ﷺ.

* * *

عَطر اللَّهم مجَالسَنا بِأَعْطَر صَلاةٍ وَأَطيب تَسْلِيم عَلَى
أَكْمَل مَوْلود وَأَجَل مَوْدُودٍ وَأَفْضَلِ كَلِيم اللَّهُمَّ صَلِّ
وَسَلِّم وَبَارِك عَليْهِ وعلَى آلِه واجْعَلْنَا يَا مَوْلاَنَا مِن
أَعْظَمِ المخْصُوصِين لَدَيْهِ وَالمُتَعَلِّقِينَ بِأَذْيَالِهِ

* * *

وله ﷺ في كلِّ شهرٍ من شهور حملِهِ الزكية نداءٌ في الأرضِ ونداءٌ في السماء العلية، أن ابشِرُوا فقد آن أن يظهر أبو القاسم والسيد الذي أُحِلَّتْ له ولأمَّتِهِ الغنائِم ميمُوناً مباركاً كريماً معَظماً مُمَجَّداً فخيماً.

نسيمُ الصبَا أهلاً وسهلاً ومرحَبَا ... قدِمت فأقْدَمْتَ السُّرورَ إلى الرُّبى
وجَدَدتَ في كُلِّ القُلُوب مسرَّةً ... ونَشْرُكَ أضْحَى في الوجُود مُطيَّبَا
متى أنظر الأعلامَ يا سعْدُ قد بَدَت ... ويُصبح قلبي من حمَاه مُقرَّبا
فقد زمزَمَ الحادِي بذكر محمَّدٍ ... نَبيٌّ كريمٌ للشَّفاعَةِ مُجتَبَى
رسُولٌ عظيمٌ مُصطفَى ذُو مَهابَةٍ ... لهُ اللَّهُ بالذِّكْرِ المرفَّع قد حَبا
فلولاهُ ما سارَ الحَجيجُ لمَكَّةٍ ... ولا حَنَّ مُشتاقٌ لنجد ولا صَبا

* * *

عَطر اللَّهم مجَالسَنا بِأَعْطَر صَلاةٍ وَأَطيب تَسْلِيم عَلَى
أَكْمَل مَوْلود وَأَجَل مَوْدُودٍ وَأَفْضَلِ كَلِيم اللَّهُمَّ صَلِّ
وَسَلِّم وَبَارِك عَليْهِ وعلَى آلِه واجْعَلْنَا يَا مَوْلاَنَا مِن
أَعْظَمِ المخْصُوصِين لَدَيْهِ وَالمُتَعَلِّقِينَ بِأَذْيَالِهِ

* * *

ولما تمَّ لآمنةَ من حملها به ﷺ شهرانِ، على المشهور من الأقوال المَروية، تُوفي عبد الله، والدُهُ وهو على حالةٍ زكيةٍ مرضِية، وكان إذ ذاك ابن ثمان عشرة سنة على الصحيح، والقول المعتبر عند العلاء والسَّيوطي والحافظ ابن حجر، ودُفن في المدينة المُنوَّرة العظيمة المقدار بدارٍ من دُورِ بني عَدِي بن النجَّار. ولما تُوُفِيَ قالت الملائكةُ: إلٰهنا وسيِّدَنا ومولانا وعالِم سِرنا ونَجْوانا بقي نبيُّكَ يَتِيماً لا أب له، فقيراً لا مال له، فقال الله عزَّ وجلَّ: يا ملائكتِي أنا أوْلى به من أمِّهِ وأبِيهِ وأنا حافِظُهُ ومُربيه، أنا ناصِرُه وراعِيه، أنا رازقُه وكافِيه، فَصَلُّوا عليه تقرُّباً وتكرِيماً وتبرَّكوا باسمِهِ تعظيماً.

وقد قيل لجعفر الصادق رضي الله عنه: لِمَ يَتِمَ النَّبِيُّ ﷺ؟ فقال: «لئلاً يكون عليه حقٌّ لمخلوق». ولله دَرُّ القائل:

* * *

عَطر اللّهم مجَالسَنا بِأَعْطَر صَلاةٍ وَأَطيب تَسْلِيم عَلَى
أَكْمَل مَوْلود وَأَجَل مَوْدُودٍ وَأَفْضَلِ كَلِيم اللَّهُمَّ صَلِّ
وَسَلِّم وَبَارِك عَليْهِ وعلَى آلِه واجْعَلْنَا يَا مَوْلاَنَا مِن
أَعْظَمِ المخْصُوصِين لَدَيْهِ وَالمُتَعَلِّقِينَ بِأَذْيَالِهِ

* * *

واختُلِفَ في مدَّة الحملِ به ﷺ، فقيل: عشرة أشهر، وصححه في «الإبريز» نقلاً عن العارف بالله مولانا عبد العزيز رضي الله عنه. وقيل: تسعة، وصححه في «الغُرر» وصدَّر به مُغلطاي الحافظ المعتبر، وقيل غير ذلك مما هو مذكور عندهم هنالك.

وعن أبي زكرياء يحيى بن عائِد قال: بقي النبي ﷺ في بطن أمه تسعة أشهر كَمَلاً، لا تشكو وَجَعاً ولا مَغَصاً ولا رِيحاً ولا ما يعْرِض لذواتِ الحملِ من النِّساء، وكانت تقول: والله ما رأيْتُ من حَمْلٍ هو أخفُّ منه ولا أعظمُ برَكَة».

وروى أبو نعيم عن عمرو بن قَتيبة قال: سمعت أبي، وكان من أوعية العلم، قال: لما حَضرَت آمنة الوِلادَةُ قال الله لملائكته: «افْتَحوا أبواب السماءِ كلها وأبواب الجنان وأُلبِست الشمسُ يومئذٍ نُوراً عظيماً وكان قد أذِنَ الله تعالى تلك السنة لِنساء الدُّنيا أن يحمَلْن ذكُوراً كرامةً لسيِّدنا محمد ﷺ» الحديث.

وروى أبو نعيم أيضاً من حديث ابن عباس قال: كانت آمنة تُحدِّث وتقول: أتاني آتٍ حينَ مرَّ بي من حَمْلي ستة أشهر في المنام وقال لي: يا آمِنة إنَّك قد حَمَلتِ بخير العالمينَ فإذا ولدتِهِ فسمِّيه محمداً واكْتُمِي شأنَكِ. قالت: ثم أخذني ما يأخُذُ النساء ـ تعني من الطَّلْقِ الذي هو وَجَعُ الولادة ـ ولم يعلم بي أحد لا ذَكَرٌ ولا أُنْثى وإني لوحيدة في المنزلِ وعبد المطلب في طوافِهِ، فسمعت وجْبَةً ـ أي هَدةً عظيمة وأمْراً عظِيماً ـ هالَنِي، ثم رأيتُ كأنَّ جناحَ طائِر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرُّعب وكلُّ وجعٍ أجِدُهُ، ثم التفتُّ فإذا أنا بِشربَةٍ بيضاء ظننتها لبناً وكنت عَطْشَى فشربتها فإذا هي أحْلَى من العسل، وأصابَنِي نورٌ عالٍ ـ أي عظيم ـ ثم رأيتُ نِسْوَةً كالنَّخل طِوَالاً كأنَّهُنَّ من بناتِ عبدِ منافٍ يُحدِقْنَ بي، فبينما أنا أتعَجَّبُ وأقول: واغوثَاهُ من أين عَلِمْنَ بي ـ قال في غير هذه الرواية: فقلنَ لي نحن آسيةٌ امرأةُ فرعونَ ومريم ابنةُ عِمران وهؤلاء من الحُورِ العِين ـ واشتَدَّ بي الأمر وإني أسمعُ الوَجْبة في كل ساعةٍ أعظم وأهْوَل مما تقدَّم، فبينما أنا كذلك إذا بديباج أبيض قد مُدَّ بين السماء والأرضِ وإذا بقائل يقول: خُذاهُ ـ

يعني إذا وُلِدَ عن أعين الناسِ ـ قالت: ورأيت رِجالاً قد وقَفُوا في الهواء بأيديهم أبارِيقُ من فضَّةٍ ثم نَظرتُ فإذا أنا بقطعةٍ من الطَّيْر قد أقْبَلَتْ حتى غَطَّتْ حُجْرَتي مناقِيرها من الزُّمُرُّد وأجنحتها من الياقوت فكشَفَ الله عن بصري فرأيتُ مشارِق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضرُوباتٍ علماً بالمشرقِ وعلماً بالمَغْرِبِ وعلماً على ظَهْرِ الكعبةِ، فأخذني المخَاضُ فوضَعتُ سيِّدنا مُحَمَّداً ﷺ وشرَّفَ وكرَّمَ ومَجَّدَ وعَظَّمَ، السَّلامُ عليك يا سيِّدنا محمد السلام عليك يا خَيْرَ الوَرَى يا مُمَجِّد، السلام عليك يا أفضلَ من صلَّى وصامَ وتمجَّدَ، السلام عليك يا أكمَلَ من سعى وطاف وتعبَّدَ، السلام عليك يا بَدرَ التَّمام، السلام عليك يا قُطبَ الأنامِ، السلام عليك يا كعْبَةَ الطوافِ والمقام، السلامُ عليك ياخاتِمَ الأنبياءِ والرُّسُلِ الكِرامِ، السلام عليك يا نِعْمَةَ الوجُود، السَّلامُ عليك يا قِبْلَة كُلِّ موجُود، السَّلام عليك يا مَن هو موصوف بالكَرَم والجُود، السلام عليك يا صاحِبَ المقامَ المحمود والحوضِ المورود، السلام عليك يا عظِيمَ القَدْرِ والجاه، السلام عليك يا صَفْوَةَ الإله، السلام عليك يا مَنْ قرَّبَهُ منه مولاهُ وأدْناهُ، السلام عليك يا من كلَّمَهُ ربُّهُ وناجاهُ، السلام عليك يا من تشرَّفَ جبرِيلٌ بخِدْمتِهِ، السلامُ عليك يا مَن نال مقاماً كبيراً بانتِسابِهِ لحُرْمتِهِ، السلام عليك يا من العوالِمُ كلها في طيِّ قبْضتِهِ، السلام عليك يا من طرَّفَهُ ربُّهُ تعالى في سائِرِ مملكتِهِ، السلام عليك من الرَّبِّ الكرِيم، السلامُ عليك من المولى العظيم، السلامُ عليك من الرؤوُفِ الرَّحيم، السلام عليك ممَّن شرَّفَكَ وعظَّمَكَ أيَّ تعظيم، السلام عليك منك أيُّها النبي الأوَّاه، السلام عليك من جنابِكَ يا من له السَّنا والجاه، السلام عليك من جميع ما خلق الله، السلام عليك بكُلِّ سلام أوجدَهُ الله.

هذا هو المُختارُ والبَدرُ الذي ... كلُّ البُدُورِ خضَعَتْ تحت هِلالِهِ
ما إن له في العالمِينَ مماثِلٌ ... كلاً ولا في الكونِ من أشْكالِهِ
أُسْرِيَ به في لَيْلَةٍ سَعْدِيةٍ ... وطىءَ السماواتِ العلَى بنِعالِهِ
فالمُلك والمَلكُوتُ طَوْع يمِينِهِ ... والكونُ والأكوان تحتَ شمالِهِ
حتَّى دنا من قابِ قوْسَيْن العُلا ... وسعَى له المعشُوق في إقبالِهِ
ورأى وشاهَدَ ذا الجلالِ بعَيْنِهِ ... ما زاغَ منه الطَّرفُ عندَ مآلِهِ
كلاً ولا كَذبَ الفُؤادُ وكيفَ لا ... وهو الحَبِيبُ دُعِي لأجْلِ وصالِهِ
هذا الذي قد خُطَّ في العَرْشِ اسمُهُ ... بصفاتِهِ ونعوتِه وجلالِهِ
هذا الذي رَامَ الكَلِيمُ مقامَهُ ... فاندَكَّ منه الطُّورُ عند مَقالِهِ
هذا الذي جاءَ المَسِيحُ مُبَشِّراً ... فقدومهُ متمسِّكاً بحِبَالِهِ
هذا الذي سفرَ اللِّثَام فأطْرَقَت ... مُقَلُ القُلوبِ مهابَةً لجَمَالِهِ
هذا الذي في الحشرِ يُعقد فوقَهُ ... ذاكَ اللِّوَا والرسْلُ تحْتَ ظلالِهِ

يا حَضرَةَ القُدْسِ التي هامُوا بها   والعارِفُونَ تَمَسَّكُوا بخيالِهِ
صلَّى عليكَ اللَّهُ ما ظَهَرَ الدُّجى   وضَحَا وهلَّ مُهَلِّلٌ بهلالِهِ

* * *

عَطر اللَّهم مجَالسَنا بِأَعْطَر صَلاةٍ وَأَطيب تَسْلِيم عَلَى أَكْمَل مَوْلود وَأَجَل مَوْدُودٍ وَأَفْضَلِ كَلِيم اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم وَبَارِك عَلَيْهِ وعلَى آلِه واجْعَلْنَا يَا مَوْلاَنَا مِن أَعْظَمِ المخْصُوصِين لَدَيْهِ وَالمُتَعَلِّقِينَ بِأَذْيَالِهِ

* * *

ثم الوقوف والقيام عند ذكر مولِده أو سماعِ وصفه عليه السلام جرتْ به عادة الكثير من المحِبِّينَ وخصوصاً في الأقطار المشرِقيَّة ذاتِ الفضائِلِ والمحاسِن البهية تعظيماً لجنابِهِ الشريف ومنصبِهِ النَّبَوِي المنِيف، وإظهاراً للفرح والسرور وغاية الطَّرب والحُبُور بولادَةِ المُصْطفى ومن تشرّفَ به المقام والصَّفا واستَحْسَن ذلك منهم جماعة من الأئمة الكِبار وجعلوه من البدَعِ المستحسنة العظيمةِ المِقدارِ، وممن وجد منه هذا القيام عند سماعِ ذِكْرِهِ ووصْفِهِ عليه السلام عالمُ الأمَّة وإمام الأئمَّة ومُقتداهم عِلماً وورعاً وديناً وزهداً وتُقى ويقيناً. تقيُّ الدين السُّبكي، حكى ذلك عنه ولده أبو نصر عبد الوهاب في ترجمته من «الطبقات الكبرى» وتابعه على القيام جماعة ممَّن عاصره من مشايخ الإسلام وذلك أنه اجتمع في خَتم درس له جمّ غفير من علماءِ عصره وقادة وقته ودهره من قُضاةِ وأعيان وغيرهم من رؤساء ذلك الزمان، فأنشد مُنْشِدٌ قول ذي المحبَّة الصادقة والأنوار البارِقة حسَّان زمانه وفريد نعتِه وأوانه، أبي زكرياء يحيى بن يوسف الصرصرِي نفعنا الله به من قصيدة في ديوانه:

قليل لمدْح المصطفى الخط بالذَّهَب   على ورق من خط أحْسَن من كتب
وأن ينهَض الأشْرافُ عند سماعِهِ   قِياماً صفوفاً أو جثيّاً على الركَب
أما اللَّهُ تَعْظِيماً له كَتَب اسْمَهُ   على عَرْشِه يا رتْبةً سَمَتِ الرُّتَب

فلما سمِع الشيخ ذلك قام وقام معه جميع من حضرَ هنالِك وحصل لهم أنسٌ كبير ومرت بهم ساعة طيبة نالوا فيها من الخير الغزير. قال جماعة من الأئمة، منهم شارح «الاكتفاء» وذلك مما يكفي في الاقتداء، ووقع لشارح «الاكتفاء» المذكور أنه كان بالمدينة المنوَّرة عند القبر النَّبَوي المَغمور بعدما حجَّ أوائل المُحرم الحرام فاتِح ثلاثة وأربعين ومائة وألف من هجرة خَيْر الأنام، فأنشد منشِد قول القائل من قصيدة في المدح النَّبوي، ياله من قائِل:

وقُوفاً على الأقْدامِ في حقِّ سيِّدٍ   تعَظِّمه الأملاكُ والجنُّ والإنسُ